المحاضرة الاولى

١. مقدمة في علم النفس والمراحل التي مر بها.

علم النفس قديم قدم التاريخ، بدأ حينما أخذ الانسان يشعر بوجودهِ في هذا الكون متأملاً ذاته في بيئته المملوءة بالظواهر والكائنات والمثيرات التي اثارت انتباهه للعديد من التساؤلات عن تلك الظواهر والقضايا الاخرى من قبيل:

– ما الذي يجعلني أتصرف على هذا النحو أو على تلك الصورة أو السلوك؟

– ما معنى الأحلام التي تراود الإنسان؟

– لماذا سلوك الأفراد يختلف في ما ببنهم؟

فالأحلام التي كان يراها الإنسان والإصابة بالإغماء مثلا أو الغياب عن الوعي أو الموت، كل هذه الأحداث نبهت الإنسان في ذلك الزمان القديم إلى وجود شيئين في ذاته هما: **وجود مادي ووجود شيء آخر خفي** يذهب ويعلو في السماء وينفذ ما في الأحلام ثم يعود إلى الجسم عند الاستيقاظ، أو يغيب في مكان مجهول عند الصرع، أو يغيب دون رجوع عند الموت، وهكذا استدل الإنسان على أن في ذاته شيء آخر غير هذا الهيكل المادي المتحرك أحيانا والجامد أحيانا أخرى، إلى أن توصل الإنسان عند التأمل في ذاته بغرض فهم نفسه إلى ثلاث مصطلحات: **النفس psyche** – **الروح spirit** – **العقل mind** فهذه الكلمات فجرت الأفكار والأبحاث التي أثارت النقاش والجدال الطويل وشغلت هذه الكلمات أفكار الفلاسفة والعلماء ورجال الأديان فترة طويلة من الزمن وقد أخذَ الكثير من الفلاسفة والمفكرين على عاتقهم التفكير في هذا الكون والنفس البشرية ووضع الكثير من الحقائق والمفاهيم والنظريات عبر التاريخ.

الفكر النفسي والسيكولوجي في الفلسفة اليونانية:

كان الفلاسفةُ في هذه المرحلةِ يهتمّون بدراسةِ وفهمِ السلوك الإنساني، وتحديد مَكانة الإنسان في الحياة، فقد حاول **طاليس** الذي يُعدّ مُؤسّس علمِ الفَلسفة القَديمة دراسة الكثيرِ من القَضايا

وفهمها، كوجودِ الإنسانِ وبدايته ونهايته، فوصل إلى أنّ الأنسان عبارة عن عُنصرين مُنفصلين وهما الجسد المادي، والروح أو النفس.

أما (سقراط) فيرى أن الحقيقة موجودة لدى كل انسان ولا تتكشف هذه الحقيقة إلا بمعرفة الانسان لنفسه تحت شعار "أعرف نفسك بنفسك" لان معرفة النفس هي أساس الفضيلة والفضيلة تؤدي إلى السعادة. ويرى ان الطبيعة الانسانية تحتوي على قوتين هما: (العقل، والشهوة) وانهما في صراع دائم. فكان يرى بأنّ الروح أو النفس البشرية هي جزء من الروح الإلهية لذا فهي قادرةٌ على مدّ السيطرة الكاملة على الجسم المحسوس والتحكّم بالرغبات والشهوات.

أما "أفلاطون" تلميذ "سقراط" فقد اعتبر أن النفس تعيش في عالم المثل ولما ارتكبت الخطأ طردت من عالم المثل وبدأت تنتقل من جسد لآخر، وقد قسم النفس إلى ثلاثة أقسام هي:

– **النفس العاقلة:** مركزها الرأس (لأن الرأس أعلى جزء في الجسم فهو أقرب إلى السماء كما أنها مستديرة والدائرة أقرب الأشكال الرياضية إلى الكمال). وتميل الى عالم المثل. تميز طبقة الفلاسفة والحكماء ورجال الدولة.

النفس الغاضبة: مركزها القلب تتجاذبها الاهواء والمنطق فهي في صراع. وتميز طبقة الجنود.

النفس الشهوانية: مركزها البطن عالم الغرائز والشهوات. تميز طبقة عامة الناس والفلاحين.

أما ارسطو مؤلف كتاب (النفس) ويرجع الفضل له في تطوير المنهج العلمي باهتمامه بالاستقراء والملاحظة الحسية في تفسير الظواهر، ويرى بان الانسان عبارة عن **(مادة، وصورة)** فالمادة هي جسمه والصورة هي نفسه، وبان النفس والجسم كلا واحداً لا يتجزأ. ويرى ان الانسان كائن اجتماعي يعيش وسط جماعة يؤثر ويتأثر بها وركز على الاسرة.

ونظر لعلم النفس نظرة علمية، اذ جعل علم النفس من العلوم الطبيعية وبذا يُعد أرسطو المؤسس الاول للمعرفة السيكولوجية وقال أن للنفس ثلاثة مستويات هي:

النفس النباتية: وهي أساس الحياة والغذاء والنمو وهي موجودة في النبات والحيوان والإنسان.

النفس الحيوانية: وظيفتها الحركة والإحساس عن طريق الحواس الخمس البصر، السمع، الذوق، اللمس، الشم وهي موجودة عند الإنسان والحيوان.

النفس العاقلة: وظيفتها التعقل والتفكير وهي موجودة عند الإنسان فقط.

وأشتهر أرسطو كذلك بنظرية **(الوسط)** أو ما تسمى أحيانا **الوسط السعيد** فالفضيلة عنده لا افراط ولا تفريط فكلاهما رذيلة فمثلا الشجاعة وسط بين طرفين هما الجبن والتهور، والكرم فضيلة وهو وسط بين رذيلتي الشح من جهة والإرساف من جهة أخرى.

الفكر السيكولوجي في الفلسفة العربية والإسلامية:

ظَهَرت في كنفِ الحضارة العربيّة والإسلاميّة أسماء الكثير من العُلماء والمُفكرين والفلاسفة المسلمين، وقد استفادوا من الحضارة اليونانية وتأثر بعض علمائها بها، وكان لهم الفضل الكبير في حفظ التراث الفكري وترجمته وإثرائه، فكان من أهمّ الفَلاسفة الذين بحثوا وكتبوا في النفس البشرية:

الفارابي، أكد أن النفس حبيسة الجسد ويتم تطهيرها بالتغاضي عن رغبات الجسد لتصل إلى السعادة والكمال لتتحد مع الله، وقسم النفس إلى قسمين قسم موكل بالعمل وقسم موكل بالإدراك.

الكندي، إذ ظهر تأثُّره الكبير بآراء أفلاطون وأرسطو من الفلاسفة اليونانيين، فكان يرى أنّ النفسَ هي جزءٌ من الروح الإلهيّة التي تسكن الجسم البشري بعد ولادته، ولها أن تُسيِر الفرد وتتحكّم في تصرفاته، إلا أنّ هناك أخطاء وزلّات يَقع فيها الإنسان نتيجةً لدافع الغَضَب أو الشهوة.

أمّا **ابن سينا** فكان يَرى أنّ هناك تَباينٌ كبير بين النفس الإنسانيّة والبنية الجسديّة، فهي تندمج معه عند الولادة وتُفارقه عند الموت، لتذهب إلى خالقها فتُبعثَ وتُحاسب على ما قامت به في الحياة الدنيا، فهي خالدةٌ لا تَفنى بفناء جسدها، كما اهتمّ ابن سينا بدراسةِ العلاقةِ بين الظواهر النفسيّة والظّروف البيئية. فاكد أن النفس لها صلة كبيرة بالجسم واعتبر أن النفس تحكمها مجموعة من القوى, قوى ظاهرة وقوى باطنية، فأما الظاهرة فهي الحواس كالسمع والبصر أما الباطنية فهي قوة الادراك

أما **ابن خلدون** فكان يرى أنّ الانسان يَملك القدرات الفكريّة التي تَرفعه وتُميّزه عن غيرِه من الكَائنات الحيّة، وأضاف أيضاً أهميّة الأثر الكبير للعَوامل البيئيّة الخارجيّة؛ كالمُناخ، والحياة الاجتماعية، والاقتصادية، بالإضافة إلى التربية والتّنشِئة الأسريّة في النمو النفسي السليم للطفل، وأهميّة الدور المهم للتطوّر الثقافي، وكان اعتمادُ ابن خَلدون على الطُّرق العلميّة في الدِّراسات والبُحوث جعله أقرب إلى دراسات ونظريّات علم النفس الحديثة.

الفكر السيكولوجي في الفلسفة الأوروبية في عصور النهضة:

في مَطلع القرن السابع عشر وعند قيام النهضة في أوروبا بعد خروجها من العصور المُظلمة التي مرّت بها، ونتيجةً لوُصول المعارف والعلوم المختلفة إليها، أصبحت دراسات وبحوث العلماء والفلاسفة أكثر اهتماماً وتركيزاً على القضايا الخاصّة بالمجتمع والطّبيعة بشكلٍ عام وقضايا النفس البشريّة بشكلٍ خاص، وكان من أوّل الفَلاسفة الذين اهتمّوا بالدّراسات النفسيّة هو الفَيلسوف الفرنسي **ديكارت**، إذ رأى أنّ سلوكَ الكائن الحي يُشبه في سيره طريقة عمل الآلة، أي إنّه فسّر السلوك من مبدأ الانعكاس والاستجابات اللاإراديّة للمُثيرات الخارجية التي يتفاعل معها الكائن الحي للوصول إلى مرحلة التكيّف.

كما تحدّث العالم **جون لوك** عن نفيِه لوجودِ قدرات أو مهارات موروثة للطفل، أي إنّه يولَد بصفحةٍ بيضاء ويأخذ المجتمع مهمّة إكسابِه الظواهر السلوكيّة المُختلفة وتشكيلها، وبالتالي توسّع خبرات الإنسان ومعارفه مع تقدّمه بالعمر، كما قسم جون لوك المراجع الأساسيّة للخبرات الإنسانيّة إلى مرجعين أو مصدرين، **الأول: الخبرة الداخليّة** المُتمثّلة في نشاطات واستجابات الأعضاء الحسيّة، **والثاني: الأنشطة والتصوّرات الذاتية للعقل.**

علم النفس في العصر الحديث: ظهر علم النفس بشكلٍ مُستقل عن العُلوم الفلسفيّة في بدايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يدِ العالم الألماني وليام فونت سنة (١٨٧٩) حين أنشأ أول معمل تجريبي لعلم النفس بمدينة "ليبزج" الألمانية اذ بدأ بدراسة الخبرات الشعورية عن طريق الاستبطان أو التأمل الذاتي للفرد، ولهذا سمي علم النفس في هذه الفترة بعلم الوعي أو الشعور، كما اهتم بدراسة التفكير والتذكر والحواس والانتباه والتخيل والتعلم، ونتيجة تطور المعارف في مجال فسيولوجيا الجسم وخاصة نشاط الجهاز العصبي وأعضاء الاستقبال والعلوم الطبية وعلم التشريح، هذا التطور انعكس على تطور المعارف في مجال علم النفس فانتقل علم النفس من دراسة الشعور إلى دراسة السلوك وقد تميزت هذه المرحلة بما يأتي:

ظهور تطور أولي لعلم النفس كعلم مستقل.

التعمق في تطبيق طرق تجريبية في علم النفس.

تشكل برامج نظرية في علم النفس.

ظهور مفهوم الوعي والشعور

ظهور نظريات تفسر النشاط الانساني (السلوكية كتجارب "بافلوف و واطسن" ونظرية الجشطلت)

ظهور الاتجاه الفرويدي واكتشاف اللاشعور.

ظهور اتجاهات حديثة كالاتجاه المعرفي.

ظهور المقاييس النفسية.

ظهور ميادين عديدة لعلم النفس.